مجلة منتدى الأستاذ

المجلد: 20 العدد: 01 السنة: ديسمبر 2024 الصفحات 450 ـ 462

جماليّات السّياق وأثره في سورة الأنعام

The aesthetics of context and its impact on Surat Al-An’am

فيصل بلحاج [1]،* البشير تاوريريت [2]

[1] جامعة محمّد خيضر، بسكرة (الجزائر)، fayssalbelhadj01@gmail.com

نظرية القراءة ومناهجها

[2] جامعة محمّد خيضر، بسكرة (الجزائر)، bachir.taoirirut@univ.biskra.dz

نظرية القراءة ومناهجها

تاريخ الإرسال: 23/ 10/ 2024 تاريخ القبول: 27/ 11 / 2024

الملخص:

يرمي مقالنا إلى إبراز الوجه الآخر من الإعجاز البلاغي واللغوي للقرآن الكريم، وذاك باستعراض أثر السياق في إبراز الوجه الجمالي له في سورة الأنعام من جوانب عدّة منها ترتيب الأنبياء، ومقامُ الحِجاج، ونجد هذا في أكثر من موضع في كتاب الله تعالى ولكن في سورة الأنعام له لمسة بيانية خاصة، واتخذنا في هذا إشكالية مفادها؛ ما أثر السياق في فهم النص القرآني؟ وأين تظهر الدلالة واللّمسة الجمالية في ذكر قصص الأنبياء؟ والغاية في هذا هو أن ندرك بأن النص القرآني ليس عرضا تاريخيا وإنما نص فهم وتأمل وتشريع وأحكام، واتخذنا في سبيل ذلك منهجا تحليلي وصفي، مع وضع خطة بحث اقتصرت على الجانب النظري، والجانب التحليلي، وتوصلنا إلى جملة من الفوائد والتوصيات وضعنا في الخاتمة.

الكلمات المفتاحية:

جماليّات؛

السّيّاق؛

أثره؛

سورة؛

الأنعام؛

ABSTRACT:

Our article aims to highlight the other side of the rhetorical and linguistic miracle of the Holy Quran by reviewing the effect of context in highlighting its aesthetic aspect in Surat Al-An'am from several perspectives, including the order of the prophets and the position of the arguments. This can be found in several instances in the Holy Quran; however, it has a special rhetorical touch in Surat Al-An'am. To achieve the sated aim, we tackle the problem of what the effect of context in understanding the Quranic text is and where the significance and aesthetic touch in mentioning the stories of the prophets appear. The objective is to understand that the Quranic text is not a historical presentation, but it is rather a text of understanding, contemplation, legislation and rulings. To achieve this, we have adopted an analytical and descriptive approach in addition to a research plan limited to the theoretical and analytical aspects. We have reached a set of benefits and recommendations that we have placed in the conclusion.

Keywords:
Aesthetics,
Context,
Impact,
Surat,
Al-An'am,

* فيصل بلحاج

مقدمة:

الخطاب القرآني وحي من الله لرسوله صلى الله عليه وسلّم، والعبد المؤمن الصادق كلما قرأ كتاب الله وتدبر فيه كلما زاده يقينا بالمنعم سبحانه، وهذا الكلام لا يمكن أن يكون كلامًا بشريّا يعتريه النّقد والنّقص، ففي سور بلاغ للنّاس وهدايةٌ لهم وإرشاد، والخطاب القرآنيُّ يسردُ في مواطن كثيرة قصص الأنبياء وعبر السّابقين وأخباره حتّى تتمَّ فائدةُ المسْلِمِ في تثبيتِ إيمانه وعقيدته، ولمن يهمُّه تحسين حاله في الدّين والدنيا، وكثيرا ما وقع عند أهل القرآن تأمّلٌ في معانيه وسياقته، وكذلك البحث في الرّواية القرآنيّة لسير الصّالحين والمحسنين من عباده وفي اتّصالهم مع أبناء جِلدتهم، وكذا ثبات عقيدتهم ومنهجهم في الحوار، والسيرة الحسنة والتواصل الرفيع مع الذين أشركوا بالله، ويكون بلاغهم على أحسن وجهٍ، ولكن نجد منهج الله في خطابه القرآني قد يعدُّ هؤلاء الأنبياء تَتْرا بذكر أسمائهم بمثل ما وقع في سورة الأنعام، تذكيرا وتزكية لهم، وتصديقا لأعمالهم أو تكون ضمن سياق السورة لما فيها من العبر وأحينا نجد الغاية من ذاك ذكر للفوائد والأحكام، لأن المتّأمَّل في ترتيبهم يجد بأن الله سبحانه وتعالى قد أورد أسمائهم وفق سياق مناف للتاريخ أو نوعا من التدوين والتوثيق بل فيها من الحكمة والعلم الشيء الكثير، ومنه أخذ بحثنا في البحث عن البعد الجمالي لهذا السياق؛ فوجدناه يترنح بين أبعاد كثيرة بعيدة عن التاريخ والسرد القصصي، واتخذنا في هذا منهجا استقرائيا تحليليا وصفيا، نحاول من خلاله الإجابة حول الإشكاليّة التّالية: ما الأبعاد الجمالية للسّياق القرآني في الأنعام؟ وما أثره في بناء الحجاج والترتيب السّردي للأنبياء؟ وفي ذلك جعلنا لبحثنا خطة تحمل مقدمة، وقسمنا المقال إلى مطلبين ذكرنا في أوله مفهوم السياق وأنواعه الكثيرة عند أهل التفسير والفقه، وعند البلاغيين، وفي المطلب الثاني ذكرنا أهمية مقام الحجة قبيل الترتيب، وذكرنا جماليّات السياقات المختلفة لهذا الترتيب ومنه جماليّة سياق المقام وجمالية النّهايات أو الموصوف، ويعني الصّفات التي ذكرها لكلّ مجموعة من الأنبياء، وجماليّة التّرتيب، وتوصلنا إلى جملة من الفوائد حولنا تلخيصها في الخاتمة كما قدمنا بعض التوجيهات في ذيلها.

1. ماهيّة السّياق وأُطُرُهُ:

1.1: المفهومُ المُعجمِي للسِّياق: لقد دار مصطلح السياق عند أهل التفسير، والنحاة وأهل الفقه، والبلاغيين، لا لشيء إلا لأهميته، وكل طائفة لها مرادها من ذلك، حسب ما يخدم موضوع درسها، ولعل الكلام قبل أن يكون مفيدا قد ورد ضمن سياق معين بعيد عن مدلول الكلمة في ذاتها، ومن هنا فأي كلام تام المعنى يحمل قصدا ودلالات قد ورد ضمن سياق مناسب وظاهر للسامع أو المتكلم، وعليه قبل المضي نحو دلالات السياق الأجدر أن نقف عند دلالات المصطلح، ذهب ابن فارس إلى أن (السين والواو والقاف) أصل واحد، وهو حد الشيء، ويقال ساقه ويسوقه سوقا والسيقة ما استيق من الدواب ويقال سقت إليَّ امرأتي صداقها وسقته،[1] ومنه فالسياق هو المجرى الذي تسير فيه ألفاظ المتكلم والمعاني المراد قولها لأن السياق يملك مسلكا وسبيلا، أو بعبارة أخرى السياق هو الفاصل المحدد لنظام الكلمات، وقد يجمع السياق بين تناسق الكلمات بعضها ببعض، ومراد المتكلم، ومنهج المتلقي في الفهم ومستواه، ولذا يمكن تعريف السياق: أنه المجرى الذي تحدد به معاني العبارة، أو إن شئت قل المسلك الذي تبنى عليه الألفاظ ومعانيها شريطة أن يَجمع السامع والمتكلم منهجٌ واحدٌ لفهم المعنى المراد

ذكره، ونرى السياق ودوره عاملًا بارزًا ضمن الدرس البلاغي والتفسير، فنجد السياق عند أهل الفقه والتفسير وعند أهل البلاغة صنوان، فكلٌ يراه حسب اجتهاده وما توصل إليه من فهم، ونجد بأن السياق يتقاطع مع هذه العلوم، بل نراه أحينا سبيلًا في إصدار الحُكم الفقهي، والأجدر أن ينظر أهل العلم إلى السياق بمفهوم متكامل تدرج فيه جميع العلوم السالفة الذكر.

2.1: السياق عند أهل التفسير والفقه: اهتمّ أهل التفسير وعلماء الفقه بمدلول السّياق، وكلّ طائفة أملت عليها الضّرورة الفقهيّة أو الفهم التّحليلي والتّأويلي للنّصِّ القرآني أن تُطلِع النّاس عن أهميّة السّياقِ، لا لشيء إلا لأن القرآن الكريم والحديث النبوي الشريف كان ضمن إطار وسياقٍ خارجيّ عن النّصِّ تاريخيّ واجتماعيٍ مرتبطٌ بالبيئة العربيّة والعقل العربي، أو من داخل النّصِّ وما تجتبي إليه أعين النّاس من حسٍّ بلاغي، وجمال تركيبيٍّ نحويٍّ؛ فنجد مثالًا لا حصْرًا أسباب النزول الذي هو سببٌ موضوعي لاستيعاب الدّين وتعاليمه على الوجه السّليم له، وهو سياق خارجي عن النّص وله دورٌ لا يستهان به في فهم الدّليل القرآني، ولا يمكن أن نغفل أمرًا في بالغ الأهمية هو أن القرآن معجز في كلامه و بيانه ولذا من الواجب تحديد السياق الدّلالي والمعنى البلاغي في فهم النص، ومنه إدراك مقاصدِ الخطاب، وقد كان أهل الفقه والأصول يُولون أهمة بالغة لمعاني الأحكام الشرعية، ولقد تطرق إليه السّياق كثير من أهل العلم قديما، إلّا أنه لم يُعتَدَّ به كمصطلح ثابت بل كان يُستعان به في التفسير والتأويل، ولم يصرح الأصوليون بمفهوم (السّياق) بهذه الصيغة في كل مناسبة يستعملونه في الكشف عن مراد الله تعالى وفهم القصد من الخطاب، ولكن أقوالهم وأفكارهم وتحليلاتهم تكشف عن وجود مثل هذا المفهوم في أذهانهم وهم يمارسون عملية الفهم هذه ولعلّ محمد ابن إدريس الشافعي هو أوّل من تفطّن إلى السياق وخصص له بابا في رسالته الذي سماه (باب الصنف الذي يُحدد سياقه معناه)، ومثال ذلك ما تطرق إليه في الآية الكريمة: (وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِي كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِي ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ ١٦٣)(الأعراف:163)، "دل على أنه أراد أهل القرية الذي بلاهم بما كانوا يفسقون"،[2] كما أن الآية الكريمة تحمل معنى المجاز فهو انطلق من المحل القرية ليُعبر عن الحال أي أهلها؛ فالقرينة محلية، وقد جاء المعنى البلاغي ليكشف ما خُفيَ من مدلول الآية، وبهذا يكون السّياق اللّغوي قد أبرز معنى اسْتتَر من وراء حجاب الملفوظات، وتحدث الشريف التلمساني صاحب المذهب المالكي عن السياق وهو ما سماه أيضا بالقرينة السياقية ضمن أنواع القرائن المرجحة لأحد الاحتمالين، ومثاله ما احتج به الحنفية وبعض أصحاب المالكية على الإمام الشافعي في جواز انعقاد النكاح بلفظ الهبة انطلاقا من قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحْلَلْنَا لَكَ أَزْوَٰجَكَ ٱلَّٰتِيٓ ءَاتَيْتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيْكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَٰلَٰتِكَ ٱلَّٰتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ وَٱمْرَأَةً مُّؤْمِنَةً إِن وَهَبَتْ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسْتَنكِحَهَا خَالِصَةً لَّكَ مِن دُونِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ۖ قَدْ عَلِمْنَا مَا فَرَضْنَا عَلَيْهِمْ فِيٓ أَزْوَٰجِهِمْ وَمَا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُهُمْ لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَيْكَ حَرَجٌ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ٥٠)(الأحزاب:50) قال الشريف التلمساني بعد أن استحضر ما تقدم هذه الآية وما لحقها من الآيات: ''فهذا السياق كله يدل على أن المراد بالخُلوص هو ملك البضع من غير مهر لا اللفظ''،[3] وبهذا قد أورد حكمًا شرعيًّا انطلاقًا ممّا جاء به سياق الآية، كما احتج الإمام أحمد بهذا المدلول في أن الغاية من قوله

تعالى: (۞إِنَّمَا ٱلصَّدَقَٰتُ لِلۡفُقَرَآءِ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱلۡعَٰمِلِينَ عَلَيۡهَا وَٱلۡمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمۡ وَفِي ٱلرِّقَابِ وَٱلۡغَٰرِمِينَ وَفِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِۖ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٦٠) (التوبة: 60) وجوب استيعاب الأصناف الثمانية بالزكاة، يدل لذلك قوله تعالى الوارد قبل هذه الآية وهو السياق هنا: (وَمِنۡهُم مَّن يَلۡمِزُكَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنۡ أُعۡطُواْ مِنۡهَا رَضُواْ وَإِن لَّمۡ يُعۡطَوۡاْ مِنۡهَآ إِذَا هُمۡ يَسۡخَطُونَ ٥٨) (التوبة:58) "فإن الله تعالى لما رأى بعض من لا يستحق الصدقة يحاول أن يأخذ منها، ويسخط إذا لم يعط، يقطع طمعهم ببيان أن المستحق لها غيره وهم الأصناف الثمانية"،[4] فقد يكون الحُكم الشرعيّ تعقيبٌ لما حدَثَ في الواقع، فيأتي الله بالآية شاهدةً عن سياقِها والمتمثّلة في مناسبة الآية أو سبب النّزولِ، وقد يرتبط معنى السياق بمفهوم القصد من وراء الآية، والمعنى الخفي منها؛ فالمعنى الظاهر من قوله تعالى: (ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُم بِٱلَّيۡلِ وَٱلنَّهَارِ سِرّٗا وَعَلَانِيَةٗ فَلَهُمۡ أَجۡرُهُمۡ عِندَ رَبِّهِمۡ وَلَا خَوۡفٌ عَلَيۡهِمۡ وَلَا هُمۡ يَحۡزَنُونَ ٢٧٤)(البقرة:274) هو إحلالُ البيع وتحريمُ الرّبا إلا أن هذا المعنى "غير مَسوق بالكلام؛ لأن الآية سيقت للردّ على الكفرة القائلين بتماثل البيع والربا بدليل قوله تعالى في صدر الآية: (ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا) فجاء قوله تعالى: (وأحل الله البيع وحرم الربا) نصا في التفرقة بين البيع والربا"،[5] ويرى الشاطبي أن السياق أمران سياق النص وسياق الموقف، "ذلك أن السياقات تختلف باختلاف الأحوال والأوقات والنوازل، وهذا معلوم في علم المعاني والبيان، فالذي يكون على بال من المستمع والمتفهم الالتفات إلى أول الكلام وآخره بحسب القضية، وما اقتضاه الحال فيها لا ينظر في أولها دون آخرها ولا إلى آخرها دون أولها فإن القضية وإن اشتملت على جمل فبعضها متعلق ببعض"،[6] وعند أهل التفسير يمكن الإشارة إلى ترجيح دلالات بعينها في النص القرآني، وهذا ما أشار إليه العزُّ ابن عبد السلام في الاستدلال بآيات تفسر مواضع آيات أخرى إذا يرى أنه قد يتردد معنى الآية بين محامل يتساوى بعضها مع بعض، وعليه فإن أهل الأصول يشيرون إلى عنصرين هامين الأول هو: دور السياق في انتقاء الدلالة الراجحة للنص، أمّا الثاني منه: دور السياق في عملية ترجيح الأقوال ذاتها. ومما سبق ذكره يمكن أن نستنتج أن السياق عند الأصوليين يمكن اختصاره في أبواب أربعة كالآتي:

- أهمية النصوص السابقة واللاحقة لما يراد بيانه أو تأويله، والنصوص البعيدة والقريبة أو السورة بأكملها.
- الإهتمام بمقصدِ الآية، والتركيز على مقصدِ الشّرعِ من التّشريع وإساقط ذلك في فهم الآية.
- دور السّياق يكمن في مقام الحال وتوظيف اللّفظ، وعنصر اللغة.
- أسباب النّزول وحال المخاطب زمنَ نزولها لها دور في فهم الحُكْم الشَّرعي.
- أن مصطلح السياق عند الأصوليين يشمل عناصر السياق المقالي والمقامي.

3.1 السياق عند أهل البلاغة: يمكن أن نفهم السياق عند أهل البلاغة من خلال المقولة المشهورة (لكل مقام مقال)، وكذا قولهم (مطابقة الكلام لمقتضى الحال)، وهذا المبدأ البلاغي نراه عند صحيفة بشر بن المعتمر الذي نُقِلَ عنه قوله: "المعنى ليس يشرف بأن يكون من معاني الخاصة، وكذلك ليس يقبح بأن يكون من معاني العامة، وإنّما مدار الشرف على الصواب، وإحراز المنفعة مع موافقة الحال، وما يجب لكلّ مقام من المقال"،[7] فلا يتحقق كلام ووقعه عند المستمع إلا إذا كان موافقا للمقام الموقف ولا اعتبارَ لهيأة السّامع أكان شريفًا أو وضيعًا إنّما يَشرفُ

اللّفظ بشرَفِ معانيهِ والسِّياق الذي قيل فيه، وهذا الاهتمام عند البلاغيين من خلال رسائلهم كان بوقوفهم على الفهم السليم للقرآن ونلحظ عند أبي عبيدة إشارته إلى الكيفية التي يتم التوصّل بها إلى فهم المعاني القرآنية، وإدراك دلالاتها المتنوعة الثرية وذلك حسب السياق التي ترد فيه، وكان ذلك حافزاً أساسياً لوضعه (مجاز القرآن) أو كما يقصده بأنه "الطرق التي يسلكها القرآن في تعبيراته"،[8] ويقصد بالحال السياق وهو مناط تلك الإشارات التي ذكرها في تحديد المعنى الصحيح، ومن وصايا ابن قتيبة للكتّاب بوجوب مراعاة مقتضى الحال عند ممارسة الصّنعة، وذلك في الألفاظ والمعاني على السواء، وركز عبد القاهر الجرجاني اهتمامه بدلالة النظم (السياق)، وأنّ اللفظ يكتسب معناه من التركيب، حتى إنهم قد عرّفوا البلاغة بأنها مطابقة الكلام لمقتضى الحال أو المقام أو ما يسمى عند المحدثين (سياق الموقف) فمقام الفخر غير مقام المدح، وكلاهما يختلف عن مقام الدعاء أو الاستعطاف أو الهجاء أو غيرها، ومن بحوث البلاغيين لمظاهر السياق ما أوضحه القاضي علي بن عبد العزيز الجرجاني من وجود تأثير لبعض المواقف على سياق البناء اللغوي، ويتضّح هذا التأثير من خلال النص ذاته، ويعرف القزويني السياق بالقول: "هي مطابقته لمقتضى الحال مع فصاحته"،[9] وقد أورد هذا الكلام في معرض حديثه عن التمييز بين بلاغة المتكلم وبلاغة النص في آن ذاته، ومنه فتعريفه إنما يقصد به بلاغة الكلام، ومن شروطه أن يكون فصيحا وأن يلائم حال السامع ومقام القول، ويذهب ابن رشيق إلى اعتماد المقولة البلاغية (لكلّ مقام مقال) أساساً لفكرة السياق وتمثيلاتها في الشعر والنثر، وأن ما يحتاجه الشاعر بعد الجدّية حسن التّريّثِ والسياسة، ومعرفة مقاصد القول، ولتكن غايته معرفة أغراض المخاطَب كائناً مَنْ كان، ليدخل إليه من بابه، فذلك هو سرّ صناعة الشعر، ومغزاه الذي تتفاوت به الناس، وهنا يمكن أن نستند إلى فهم لما يختلج في نفسية المتكلم وما يشغل ذهنه، وكذا مراعاة حال السامعين، والغاية الأهم هي انتقاء اللفظ الذي يناسب سياق المعنى الملازم للمقام، والولوج إلى المعنى الشريف في مقام الشرف، والمعنى الخسيس في مقام الخسة، ومنه جاءت فكرة الغرض الشعري، ويقصد به السياق المناسب للقصيدة، هذا غيض من فيض من عشرات الأقوال التي أشارت إلى السياق من حيث نظرة البلاغة والفصاحة فيه ومما سبق يمكن أن نشير إلى التالي:

- أن المقام يحتل حيزا واسعا عند أهل البلاغة ونقد الشعر لما له من أهمية في تبليغ المقصد، وإثارة ذهن المتلقي، وإيجاز المطلب، وتقريب المعنى وزيادته جمالا.
- السياق إنما هو إدراك فطري في الناموس الفطري للشاعر، وكذا استخدام الفطنة في فهم حال السامعين، وإجادة الجزالة إن أمكن له ذلك، وإصابة الهدف، وهو مَكْمَنُ التَّفَوُّقِ.
- يرى معظم أهل البلاغة أن السياق تولد من منطق اللغة في حد ذاتها وحيويتها التي تتناسب مع مقامات شتى، كما يمكن أن تختصر كلامك على وجوه كثيرة إذا أدركت السياق المناسب لذلك.
- مطابقة الكلام لمقتضى الحال تَصلُح أن تكون نظريّة أو منهجا نقدّيا تبنى عليه معاييرُ وقواعد نقدّيّةٍ.

2. جماليات السياق في السّورة وأنواعه:

1.2: جمالية سياق المقام:

كلام الله تعالى لم يكن عرضا تاريخيا أو نصا قصصيا، أو كلاما للترف الفكري، أو نصا أدبيا يحمل ثلاثية العاطفة والصناعة والخيال، وإنما هو كتابُ فصّل فيه الحكم الشرعي، وأتى بالقصص لإحداث هزّات الموعظة والتّقرّب والهداية، ولا ترد آية من آيات القرآن الكريم إلا لحكمة أرادها الله سبحانه وتعالى، وكما هو معلوم فإن أنبياء الله تعالى عاشوا حياتهم كغيرهم من البشر وأصابتهم محن وابتلاءات وصبروا على ما أوذوا في سبيل الله، ونالوا بذلك رضى الله والأجر العظيم، وعند حديثنا عن سورة الأنعام نجدها في مقام الجدال وفي نمط الحجاج والبرهان، وقد وردت في هذه السورة أعظم القصص عن التوحيد التي تحمل الحجة والدليل، والتفوق في الحجة والبرهان عن أهل الشرك، وفي سياق ذكر الله تعالى لأنبيائه وترتيبه الفريد في الآية كما سيأتي ذكره تصادفنا قصة تندرج ضمن مقام الحجة، هي قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه ويتجلى مقام الحجاج في وجوه عديدة منها:

أوّلا: لقد بين سياق الآيات السابقة للقصة طريق الهدى والنجاة: وهو التّسليم لله ما ظهر من القول والفعل وما بطن، وهو منهج الأنبياء جميعًا في دعوتهم إلى توحيد الله تعالى وطاعته في أوامره ونواهيه، ومصدر كلّ إيمان هي إعمال العقل في وجه الإعجاز والإبداع الكوني، وأنّ العقل المزيّف هو الذي يأتي بالظنّ والتّخمين ممَّا يتّبع بها هواه، وسفاهة العقل وإصراره على التّمرد، والدّليل على ذلك أنهم اتبعوا ما كان عليه آباؤهم ، ثم ذكرت قصة إبراهيم – عليه السلام –ومنهجه في الحوار القائم على البرهان و الاستدلال سواء مع أبيه أو مع قومه وهذا المنهج هو السبيل للإقناع فجانب التفوق ليس أن تتكبر على الآخر حتى وإن كان مُلحدًا بل الجانب الجميل فيه أن تحاوره وتبرز حجتك الدّامغة وتلجم لسانه، وهذا الحوار هو ثمرة دعوته وعاقبة صبره وثباته.

ثانيًا: خلق الله السماوات والأرض وسخّرها لعباده، وهي آيتان من آيات عظمته وحُسن صُنعه، وكلّ منهما مُلْكٌ لله تعالى والأجدر بالإنسان أن يتعرّف على خالقه من خلالهما لا أن يجتهد في عبادتهما وهما مسخّران له منهما السقف الذي يحميه ومنهما يعيش ويستمر في الوُجود، وجاء سرد هذه التّجربة لسيدنا ابرهيم لدحر الشّرك، وإبطال مزاعم المشركين، وتثبيتًا للحقّ، فإلى جانب ذلك نرى هذه السورة الكريمة قد اشتملت على أساليب كثيرةٍ متنوعةٍ لإقامة الحجاج على المشركين فتجد فيها البيان والتقرير والاستفهام الإنكاري والتقريري، والوعد والوعيد والقصص والأمثال والوصايا والأحكام، وتنتظم هذه القصة مع غيرها من أساليب الإقناع وألوان الحِجاج التي اشتملت عليها السورة الكريمة؛ لتقريرِ دعائمِ هذا الدينِ، وتقويض أدرانِ الشركِ ومظاهرِه، ولما كان لإبراهيم –عليه السلام – مكانةٌ عند مشركي العرب، سِيقت قصّته للاحتجاج به عليهم ولبيان توحيده في مقابل شركهم، فكيف يُعظّمونه وهم مخالفون له في الاعتقاد! وكيف يدَّعون متابعتَه وهم بعيدون عن هديه، راغبون عن ملته.

ثالثًا: قال سبحانه:(وَتِلْكَ حُجَّتُنَآ ءَاتَيْنَٰهَآ إِبْرَٰهِيمَ عَلَىٰ قَوْمِهِۦ ۚ نَرْفَعُ دَرَجَٰتٍ مَّن نَّشَآءُ ۗ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ٨٣)(الأنعام:83) وجاءت هذه الآية خاتمة لقصة إبراهيم عليه السلام مع قومه والحجة التي أذل بيها قومه ورفعه الله بها وهو توحيد الله ومنه توظيف لفظ (درجات)، والله سبحانه وتعالى أورد قصة إبراهيم مع قومه في مقام

عنوان السورة الأنعام ليُبيّن درجات الحجاج، وأن كل مخلوق يدبّ على هذه الأرض إلا هو آخذ بناصيته، ومنهج إبراهيم في الجدال فريد في طبيعته وما يعرضه على خصومه، كما أن الله تعالى بيّن كيف لإبراهيم هذه القدرة في الحوار بالشكل الأفقي؛ أي كان يُحاججُ أباه، ثم قومه ثم السلطان، وبشكل العمودي أي في نوع الحجة في حد ذاتها، فهو انتقل من المتناهي في الصغر إلى المتناهي في الكبر (الكوكب، ثم، القمر، ثم الشمس)، فأقنع بذلك كل من جابهه بأن الذي يسير هذه الأجرام وهذا الخلق كله أكبر بكثير ولا يمكن ان ندركه بالعين المجردة لأننا أضعف مما يمكن أن نراه بل يمكن أن نُؤمن به ونسلم أمرنا إليه لأننا أضعف من هذه المخلوقات ولا داعي أن نتعالى على أنفسنا وندرك بأن الوجود الذي من حولنا سخره الله لنا فالشمس للحرارة والقمر لندرك به الأيام والشهور والأعوام.

1.2: جمالية سياق الموصوف:

وقبل عرض جماليات الترتيب، جدير أن نلمس الوقفة الجمالية الموجودة في خواتيم الآيات، يشير المولى عز وجل قبل ذكر الآية التي تحمل ترتيب الأنبياء معنى الموهبة والسمو والرفعة التي نال حظّها الأنبياء في الآيةِ الثالثة والثّمانون كما ذُكرت ونرى أن هذا الترتيب جاء في سياق التزّكية والرّفعة ولهذا نجد هذا السياق كلما انتهى من ذكر مجموعة من الأنبياء إلا وذكر صفاتهم التي نالوا حظّها وكل تزكية تغنيك عن الأخرى فالإحسان والفضل والصلاح سمات اتصف بها هؤلاء الأنبياء جعلت منهم خير خلق الله والأفضل بين العالمين ويرجع كل وصف إلى ما وهبهم الله تعالى من النعم:

1/ (وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَۚ كُلًّا هَدَيْنَاۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُۖ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِي ٱلْمُحْسِنِينَ ٨٤) (الأنعام:84)

2/ (وَزَكَرِيَّا وَيَحْيَىٰ وَعِيسَىٰ وَإِلْيَاسَۖ كُلٌّ مِّنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٨٥) (الأنعام:85)

3/ (وَإِسْمَٰعِيلَ وَٱلْيَسَعَ وَيُونُسَ وَلُوطًاۚ وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ٨٦) (الأنعام:86)

حينما يستعرض القرآن الكريم الأنبياء فهو لا يذكرهم إلا لموعظة. الملاحظ في هذه الآيات أن الأنبياء من ذرية "نوح" عليه السلام قد قُسِّموا إلى ثلاث مجموعات وأُضيف لكل مجموعة منها وصف منفصل.

أوّلًا: المجموعة المشار إليها في هذه الآية تضم "داود وسُليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون" وهم أنبياء أعطاهم الله السُلطة والثروة ومن ثمَّ استطاعوا أن يفعلوا الخير من أجل الإنسانية ولهذا لُقِّبَ أنبياء هذه المجموعة بـ «المحسنين" لأنهم بسلطانهم وثرواتهم قد فعلوا ما فيه الخير للناس، والإحسان يناسبه العطاء والبذل والكرم، لقد كان داوود وسليمان ملوكًا؛ ويوسف وأيوب كانا ذوي ثروة كبيرة بعد ابتلاءهما وتحملهما المحن بصبر عجيب؛ أما موسى وهارون فكانا ذوي سلطان عظيم بين قومهم. فوصف الإحسان تُناسبه نعمة المال والسلطان، لن يكون الرجل معطاء مالم يكن ذا مال وجاه ومكانةٍ؟

ثانيًا: وتحتوي المجموعة الثانية "زكريا ويحيى وعيسى وإلياس، الذين اتصفوا بصفة الصلاح، لم يكن لأحدٍ منهم سُلطة مدنية أو قوة عسكرية أو وفرة دنيوية من مال ونفوذ، وإنما عاشوا حياة متواضعة من الناحية المادية وبسيطة جدا، لذا تميزت هذه المجموعة بكونها مجموعة "الصالحين" كما جاء في الآية 86. كان "زكريا ويحيى وعيسى" معاصرين

لبعض، أما "إلياس" فرغم أنه لم يكن معاصرًا لهم إلا أنه كان يشبههم إلى حد كبير في قوة الجلد والتواضع لذا وضع ضمن هذه المجموعة.

ثالثًا: فيما تحمل لمجموعة الثالثة (الآية 87) من "إسماعيل واليَسَع ويُونُس ولوط"، وهم أيضًا لم تكن لهم سلطة دنيوية ولم يكنوا ذا طمع في السلطان والجاه بل حباهم المنعم سبحانه وتعالى ببعض السِّمات التي تختلف عن غيرهم، والجامع بين هؤلاء الأنبياء أنهم ابتلوا في ذويهم و أهلهم و ذَرَارِيهم كما أنهم من بيت واحد كلهم يرجعون إلى جدهم وأبيهم إبراهيم عليه السلام، وهناك زَعمٌ ضدّهم أنّهم قد تمنّوا ما للغير من قوة إلّا أن كل هذه التُهم باطلة غير صحيحة وأن هؤلاء الأنبياء كانوا زمرة من الربانيين أنعم الله سبحانه وتعالى عليهم بمعيته، وكانوا بسطاء إلى أبعدِ حدٍّ، وصابرون ثابتون على الحقّ، ينالون من الدّنيا على قدر حالهم، ولم يكونوا بحاجة لاشتهاء ما لدى الغير أو أن ينشدوا نفوذًا؛ لأنه كما جاء في الآية فقد منَّ الله سبحانه وتعالى عليهم وفضَّلهم على العالمين، وهذا الكلام منقول عما ذكر في كتب التوراة والتلمود. فالفضل لا يكون إلا من لدن الله تعالى وليس للبشر دخل فيه.

2.2: جمالية سياق التّرتيب:

لقد ذكر القرآن الكريم ثمانية عشرة نبيا في هذه الآية. والإعجاز يظهر على وجوه عديدة، فالوجه الأول أن إسماعيل لم يذكر مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب. والوجه الثاني هو أن الترتيب لم يعتمد فيه على المنهج التاريخي ولا المنهج الذي يظنه الجاهل هو الأفضلية. بل على سياقات مختلفة ونسق مرتب ترتيبا عجيبا فيه من الإعجاز والحكمة ما يثير الإعجاب والدّهشة.

أولًا: سياق الظّرفيّة: تحمل الآية الكريمة ثمانية عشر نبيّا ورسولاً، ذكرهم الله تعالى ليس لحاجة سرديّة قصصيّة، وليست عرضا تاريخيّا وإنّما سيقات تتحكم فيها دلائل السّورة كما ذكرنا والتي كانت حجّةً على الكافرين، ودحر مزاعمهم، وذِكر الأنبياء هو كذلك نوعٌ من الحِجاج والبرهان، وإذا تأملّنا الآية، وجدنا أنّ الأنبياء مقسّمون على أربعة مجموعات، يتوسّطهما نبيّان أخوان هما موسى وهارون، والمتأمّل إلى تاريخ الأنبياء منذ نوحٍ إلى النبيّ صلّى الله عليه وسّلم يجدُ بأنّ موسى وأخوه هارون يتوسّط تاريخ الأنبياء والمرسلين، ونقصد بالظّرفيّة استخدام الخطاب القرآني لشبه الجملة (من قبل)، وهي دليل على أنّ القرآن يراعى مراتب الأنبياء من حيث الفضل ومن حيث تاريخانيّة الرّسالة، وبالعودة للآية نجد أنه قد ذكر في المجموعة الأولى ابرهيم وإسحاق ويعقوب ولكنه نوحًا ذُكِرَ بالنّصِّ أنه جاء من قبلهم: (ونوحًا من قبل)، ثمّ ذكر داوود وسليمان وأيوب ويوسف أقدمهم، ثمّ جاء ذكر موسى وهارون في وسط المجموعتين ليكونا مناصفَة في الأقدميّة فهم يتوسّطون تاريخ الرّسالة السّماوية، ثم نجد المجموعة الثّالثة فيها ذِكْرٌ لزكريا ويحي وعيسى وإلياس أقدمهم، والمجموعة الأخيرة حملت ذِكر اسماعيل واليسع ويونس، ولكن لوطًا أقدمهم، وفي هذا مراعاة لقدر هؤلاء الأنبياء من حيث التّفاضل الرّباني، وتقديره لرسله من حيث بداية رسالته على الأرض، ونستقي من هذا السّياق فائدتين:

- أولهما أنّ الفهم القرآني حمّال أوجهٍ فهو ليس عرضًا تاريخيّا بقدر ما هو كلام من الله لعباده، يحثّهم فيها على اتباع صِراطِهِ المستقيم، من خلال التدّبّر في آياته الكونيّة وبهذا يزداد يقينًا وكذا بمعرفة أنبياء الله وطرقهم وسبيلهم في الحياة ليتم بذلك الاقتداء بنهجهم وسلوكهم، فهم لم يُذكروا فقطمن باب الاقتداء كذلك من باب الاستشهاد

- النّص القرآني حافل بالقصص منها قصص الأنبياء، وأنبياء الله لا نفضّل بينهم نحن النّاس لا من حيث تاريخهم ولا تراتبهم الزّماني، ولو كان الخطاب القرآني من باب التّفضيل على هذا القبيل لذكرهم متواترين أو بصفةٍ تراتبيّة، ولكن مادام التّفضيل من ربّ العالمين فتفضيله لهم كان من أبواب عدّة، ومنها باب أقدميّة الرسالة، وبال الملك والحكم مقابل والشّكر، وباب الصّبر على البلاء وكلّهم عند الله لهم من المكانة ما يستحقّون، فالله هو المفضّلُ، وإليه يرجع الفضل، ولا تفضيل بعده.

ثانيًا: سياق القرابة: يُراعِي الخطاب القرآني لمسألة القرابة، ولهذا نجد قد ذكر (ومن آبائهم وذرّيّاتهم)، فالنّسل النّقيّ الصّافي هو من المسائل التي يحفظها الله في رسُلِه، فكلّ الأنبياء لهم مقامهم من الوراثة الشّريفة والنّسب النّقي الطاهر نجد القرابة على أوجه عديدة:

- قرابة الأبوّة: وتظهر في الأب الأول للأنبياء وهو نوحٌ عليه السّلام، وهو أب الأنبياء أو إن لم نقل جدّهم، ثمّ حفظ لإبراهيم مكانته الأبويّة في الأنبياء لما ذكر ولديه اسماعيل واسحاق، وذكر أيضا حفيده يعقوب عليهم السّلام، ونجد في القرابة الأبويّة داوود عليه السّلام الذي ذكر بعده ولده سُليمان عليهم السّلام، والأبوّة في يعقوب لابنه يوسف عليه السلام، وكذلك نجد هذه القرابة في زكرياء لابنه يحي عليه السّلام.

- قرابة البنُوّة: ونجد هذه القرابة جليّة في الأبناء بصفة منتظمة فنجد أنّ إبراهيم هو من نسل نوح عليه السّلام، ثمّ نرى ترتيب الأبناء بدْءً بإسحاق ويعقوب ثمّ يوسف عليه السّلام، وصولًا إلى زكريا ويحيا عليهما السّلام، فهذا الشّرف ناله الأنبياء نسلا بعد نسل دون انقطاع، حتى وإن طالت المدّة إلّا أنّ النّبوّة لا تُغادر بيتهم.

- قرابة الأخوّة: نجد هذه القرابة بارزة في مسألتين أوّلُهما أنّ الأنبياء جميعًا تجمع بينهم قرابة الأخوّة في الدّين والعقيدة، والشّرف والمكانة بين البشر، وأخوّتهم من أبيهم نوح ثمّ آدم عليهم السّلام، أمّا المسألة الثّانية في الأخوّة وهي أنّ الأخوّة تشديد لعضد النّبيّ وتثبيت له، ودعم معنويّ وهذا ما حصل للأخوين موسى وهارون، وإسحاق واسماعيل عليهم جميعا أزكى الصّلاة والتّسليم.

نجد هذا السّياق جليّا في الآية التي تلت ذكرهم جميعًا قال تعالى: (وَمِنْ ءَابَآئِهِمْ وَذُرِّيَّٰتِهِمْ وَإِخْوَٰنِهِمْ ۖ وَٱجْتَبَيْنَٰهُمْ وَهَدَيْنَٰهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ) (ال أنعام87)، فالآية دلّت أنّ الفضل في هؤلاء الأنبياء يرجع إلى نسلهم الطّاهر الذي يجمع بينهم صفاء الأبوّة وطاعة الأبناء، وتعاون الإخوة.

ثالثًا: سياق النعمة والفضل: لقد أنعم الله على أنبياء من محاسن الدّنيا كما كان الحال لجميع البشر فهو الله الكريم ذو الفضل العظيم، ولكن الملفت للنّظر في هذه المجموعة الطّاهرة منهم اختلافهم في مراتب الرّزق ومراتب العلم، والحُكم، منهم من كانوا ملوكًا ومنهم من دعتهم الحاجة إلى امتهان الحرف، ومن من فقد كلّ ماله وعياله، وآخرون أتاهم الله السلطان والوَجاهة بين النّاس، فكلّ مجموعة من المجموعة جاءت في سياق فضل الله ونعمه:

♦ **مجموعة نعمة الكتاب:** ويمكن أن نختار في المجمعة الأولى كتاب الصّحف الذي أنزله الله على إبراهيم عليه السّلام، وهو الذي يعود له فضل الأنبياء، فرسالته كانت خالدة، وكان بمفرده يعدُّ أمّة نقتدي به، والكتاب يحمل رمزيّة العلاقة الرّبانيّة العاطفيّة بين الله وعباده، فهناك مرسل ورسالة (كتاب)، ومرسل إليه والختم عند نبيّه فهو حاملها، وعليه أن يكون ذا كفاءة ويتمتّع بالنّزاهة والأمانة والصّدق، وكلّها معاني تدور في سياق فتنة العلم، وفي المجموعة الثانية، نجد كتاب التّوراة الذي أنزله الله على موسى عليه السّلام وفي ثالثة نجد كتاب الزّابور الذي أنزله الله على نبيّنا داوود، وفي الأخيرة نجد كتاب الإنجيل الذي أنزله الله على نبيّنا عيسى عليه السّلام، وهذه النّعمة هي متواترة جيلًا بعد جيل، فكلّ جيل من الأنبياء يحمل معه كتاب للهداية، فمسيرة النّبوّة لا ينقطع بينهم تماما.

♦ **مجموعة الحكم:** وهو نوعٌ من السّلطة والوجاهة والملك بين أقوامهم، فنبيُّ الله نوحٌ كان من عليّة القوم، ولهذا لم يجرؤوا عليه حتى وإن آذوه، وفي الثانية نجد أنبياء أعطاهم الله الملك والسّلطان وهم داوود وسليمان ويوسف، وهذه المكانة وظّفوها فيما ينفع العباد، وآتاهم الله الرّشد في الحكم، وحُسن التّسيّير في شؤون العباد، فيوسف عليه السّلام أدار ولاية مصر في أحلك ظروفها، بل حكم في فترتين متناقضتين من حيث المعاش، فكانت مصر تعيش أيّام الرّخاء والوفرة وأيّام القحط، فهذا النّبيّ يعلّمنا الله به كيفيّة إدارة شؤون الرّعيّة، وممارسة السّلطة فيما يعود بالنّفع على العباد، وأمّا داوود عليه السّلام فكان يحكم بين النّاس ويَقْضِي بينهم هؤلاء من نأخذ الهِمّة في تسيير شؤون العباد مع الدّعوة إلى الله، أيّوب عليه السّلام كان له مكانة بين قومه، حفظه الله بها ولكن دارت عليه الأيام، وأدالَ الله له الوجعَ وتراجع بين قومه، فهو يُعلّمنا معاني الصّبر و اللّجوء إلى الله في أحلك الظّروف و أيسرها.

♦ **مجموعة صابرة محتسبة:** وفضل الله على عباده يكون حتى بالحرمان، وأنبياء الله عاشوا حياتهم محتسبين لله راجين فضله ومنهم نأخذ العبرة في اتخاذ سبل العيش التي تحفظ كرامتنا، وننطلق في الدعوة إلى الله بأبسط ما لدينا، وهذه المجموعة هم عيسى وأيوب ويونس واليسع، فلم يكونوا أهل ترف ولا بذخٍ بل عاشوا بساطة الحياة، ولكن كانوا مثالًا في الصّبر والحكمة.

فجاءت خاتمة الآية تتحدّث عن هذا السّياق وهو النّعمة والفضل في قوله تعالى: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحُكۡمَ وَٱلنُّبُوَّةَۚ فَإِن يَكۡفُرۡ بِهَا هَٰٓؤُلَآءِ فَقَدۡ وَكَّلۡنَا بِهَا قَوۡمٗا لَّيۡسُواْ بِهَا بِكَٰفِرِينَ (89).﴾(الأنعام89)، فهؤلاء الأنبياء أنعم الله عليهم بمُعجزات، وأصبغ عليهم نعمه وفضله، وعلينا أن نقتدي بهم فمن النّاسِ من يكون أهل علمٍ، وعلينا أن نقتدي بأولي العلم منهم الذين أتاهم الله الكتاب، ومن النّاس من يمُنُّ الله عليه بالسّلطان أو بالثّراء، فتجدُ فيهم هذا النوّع ممن أتاهم الله الحُكم، ومن النّاس من آتهم الله فضلًا قليلًا ونعمًا وأرزاق على قدر الحال، وابتلاهم الله في أموالهم وذُرّيّاتهم تجد هذا الصّنف حاضرًا في هذه الآيات، ومن هنا كانت خاتمة الآية بقوله سُبْحانَه: ﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُۖ فَبِهُدَىٰهُمُ ٱقۡتَدِهۡۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًاۖ إِنۡ هُوَ إِلَّا ذِكۡرَىٰ لِلۡعَٰلَمِينَ﴾(الأنعام 90).

الخاتمة:

خلصنا في ختام إلى العناصر التالية:

✓ أن السياق له أثره عند أهل العلم في سائر مناهج العلم وتخصصاته سواء عند أهل التفسير أو أهل الفقه، وأن الدرس البلاغي يكمن في دوره الفعال في توسيع المعنى أو تحديده في مجال أضيق منه.

✓ يساعد السياق في تحديد معاني القرآن الكريم في أكثر من موضع، ويمكن للباحث أن يخلص لاستنتاجات كثيرة، وإعجاز فريد في تأويل أكثر من آية في هذا المجال.

✓ إن المعجم اللفظي للكلمة يعطي مدلولا واحدا لها بينما إذا وضع اللفظ في سياق مختلف، قد تنقلب مدلول هذه الكلمة أو التركيب إلى معاني يحددها السياق في الآن ذاته، وهذا ما نجده في كلام الله تعالى عند ذكره لتسلسل الأنبياء في الآية موضع الدرس.

✓ ولو عدنا إلى جماليات النص القرآني في نسق الأنبياء لوجدنا:

✓ أثر السياق واضح خاصة في التقسيم الفريد للأنبياء وبذكر هؤلاء الأنبياء دون غيرهم.

✓ الجمال الفني والتعبيري للآية الكريمة أنه نوع من ذكر الأنبياء منهم من له الحجة ومنهم من له الحكم ومنهم من له الفضل من المولى عز وجل ومنهم من آته الله النبوة وأورثها لبينه من بعده.

✓ وبعد استشفاف جمال هذه الآية أدركنا أن كلام الله تعالى نزل على نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ليثبت به فؤاده ويزيده إيمانا ويقينا بتبليغ الرسالة كما تم ذلك عند الأنبياء من قبله.

✓ نرى أثر السياق أيضا في ورود هؤلاء الأنبياء في سورة الأنعام تحديدا دون غيرها من آياته ظاهرة في الوجود. وأن الله سبحانه قدم حجته على الكفرة المجرمين ونوع من ذكر الحجة والدليل وقصة إبراهيم مع قومه وكيف حاج قومه لأكبر دليل على وحدانية الله.

✓ إن سورة الأنعام لها من الفضل الكثير، والذي يتلوها يزداد إيمانا وتثبيتا، ويتشبث بسيرة من سبقه من الأنبياء.

✓ إنّ ترتيب الأنبياء بذلك الوصف البديع يقودنا إلى فتن الدّنيا التي قد تصيب البشر، وهي فتنة العلم ومتمثّلة في المجموعة التي أتاها الله الكتاب، والفتنة الأخرى هي فتنة السّلطان والمال، وهي مُغريات الدّنيا وتتمثل في جملة من الأنبياء الذين حباهم الله بهذه النّعمة وابتلاء، والفتنة الثّالثة هي فتنة الحاجة والفقر، وكثير من النّاس من دعتهم الضّرورة إلى ممارسة المهن والحرف والعمل الشّاق من أجل تيسير أموره البسيطة وهي كلّها فتن تروي لنا سير الأنبياء، ونتعلّم من تجارُبهم في التّسير، والفلاح يكون بالإقتداء وتقفّي أثرهم وهذا مانصّت عليه خواتيم الآيات.

✓ إنّ الله هو الذي نرجع إليه في كلّ شؤننا ولهذا فالأنبياء جميعًا تكون عودتهم إلى الله والتّقرّب إليه فنجد نبيّ الله إبراهيم قال إني مُهاجرٌ إلى الله وهو الحنين والشّوق ولا تكون الهجرة إلّا بعد الملل من مكان مضطربٍ إلى مكانٍ لآمن، أمّا لوطٌ عليه السّلام فقال إني ذاهب، وهو تعبيرٌ وجداني يُقصد به الفرار إلى الله والعودة إليه والحنين والشّوق الذي يجمعنا به سبحانه.

✓ ويمكن أن نخرج بالتوصيات التالية:

• الدراسات القرآنية لا تنتهي عند التفسير والأولي واستنباط الأحكام الشرعية وغيرها من الأمور المتعلقة بالدين بل إن الخطاب القرآني ثري بالدرس ويمكن تطبيق المناهج النصية عليه.

• إن التعبير القرآني يساعد المتدبر فيه الولوج إلى جمالياته ومنه فإن أهل البحث فيه يمكنهم القيام بدراسات تخص خواتيم السور جمالها، والمكان وزمانه، الخطاب المعرفي للقرآن، النسق الثقافي له من خلال اجتثاث مكامن التفاسير المختلفة عبر العصور.

• النظام القصصي القرآني ليس كالنظام القصصي عند البشر من المبدعين، فدراسته تكون مخالفة لما هو عليه الحال بالنسبة للدراسات الروائية، ولذا يجب الوقوف عند بعض المفاهيم، ومعرفة السير والتراجم والأنساب وكذلك أسباب النزول وغيرها حتى تقف عند مكنونات الخطاب السردي القرآني.

قائمة المصادر والمراجع:

• القرآن الكريم.

• ابن فارس أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام، (د.ط)، دار الجيل بيروت لبنان، ج3.

• أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط، ط1، ت صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2010، ج8.

• أبو عبيدة، عمر ابن المثنى، مجاز القرآن، ط2، ت محمد زسكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1988، ج1.

• أحمد الحسني التلمساني، مفتاح الأصول إلى بناء الفروع على الأصول، ط1، ت، محمد علي فركوس، المكتبة المكية.

• الجاحظ، أبو عثمان عمرو ابن بحر، البيان والتبيين، ط1، ت عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر 2003، ج1.

• الشاطبي، إبراهيم ابن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ط1، تحقيق محمد عبد الله، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ج3.

• الشافعي، محمد ابن ادريس، الرسالة، ط3، ت أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة مصر،2005.

• محمد بن عبد الرحمان جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، ط3، دار الجيل بيروت لبنان، ج1.

• مسعود ابن عمر التقتزاني، شرح التلويح، ط1، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، 1957، ج1.

الهوامش والإحالات:

[1] ابن فارس أبو الحسن أحمد، معجم مقاييس اللغة، تحقيق عبد السلام، (د.ط)، دار الجيل بيروت لبنان، ج3، ص117.

[2] الشافعي، محمد ابن ادريس، الرسالة، ط3، ت أحمد محمد شاكر، مكتبة دار التراث، القاهرة مصر،2005 ص150.

[3] أحمد الحسني التلمساني، مفتاح الأصول إلى بناء الفروع على الأصول، ط1، ت، محمد علي فركوس، المكتبة المكية، ص53.

[4] أبو حيان الأندلسي الغرناطي، البحر المحيط، ط1، ت صدقي محمد جميل، دار الفكر، بيروت، لبنان، 2010، ج8، ص55.

[5] مسعود ابن عمر التفتزاني، شرح التلويح، ط1، مطبعة محمد علي صبيح، القاهرة، مصر، 1957، ج1، ص234.

[6] الشاطبي، إبراهيم ابن موسى، الموافقات في أصول الشريعة، ط1، تحقيق محمد عبد الله، دار الكتب العلمية بيروت لبنان، ج3، ص309.

[7] الجاحظ، أبو عثمان عمرو ابن بحر، البيان والتبيين، ط1، ت عبد السلام هارون، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة مصر 2003، ج1، ص136.

[8] أبو عبيدة، عمر ابن المثنى، مجاز القرآن، ط2، ت محمد زسكين، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصر، 1988، ج1، ص19.

[9] محمد بن عبد الرحمان جلال الدين القزويني، الإيضاح في علوم البلاغة، تحقيق محمد عبد المنعم الخفاجي، ط3، دار الجيل بيروت لبنان، ج1، ص9.